

سلسلة المحاربة الأخيار

# بلال بن رباح





لَمْ يَمْضِ سِوَى وَقْتٍ يَسِيرٍ عَلَى دَعْوَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ.

فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ اصْطَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِتْنَةً مِنَ النَّاسِ بِأَنْ هَدَاهَا إِلَى الْإِسْلَامِ فِي أَضْعَبِ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِجِ الدَّعْوَةِ. هَذِهِ الْفِتْنَةُ هِيَ فِتْنَةُ الْمُعَذِّبِينَ فِي اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى تَحْتَ وَطْأَةِ تَهْدِيدِ الْمُشْرِكِينَ وَتَنْكِيلِهِمْ، الَّذِينَ رَأَوْا فِي دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ خَطراً عَظِيماً يُهَدِّدُ جَبْرَوْتَهُمْ وَطُغْيَانَهُمْ وَعُنْصَرِيَّتَهُمْ.

كَيْفَ لَا وَقَدْ اغْتَادُوا عَلَى أَنْ يَسْتَكْبِرُوا عَلَى الْخَلْقِ بِعَائِلَاتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَمَا يَمْلِكُونَهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا. فَجَاءَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ بِشَرِيعَةٍ تَرَى أَنَّ التَّفَاضُلَ بَيْنَ النَّاسِ لَا يَكُونُ بِغَيْرِ التَّقْوَى؛ وَالْأَعَزُّ بَيْنَهُمْ هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، بِإِيمَانِهِ وَعَمَلِهِ. لِذَا رَأَى الْمُسْتَكْبِرُونَ فِي الْمُسْتَضْعَفِينَ خَطراً عَظِيماً يُهَدِّدُ وُجُودَهُمْ، وَيُزْعِزُ شَرَائِعَهُمْ وَسُنَنَهُمْ، وَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ عَادَاتُهُمْ وَتَقَالِيدُهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْمُورُوثَةُ الَّتِي وَجَدُوا عَلَيْهَا آبَاءَهُمْ وَأَجْدَادَهُمْ.

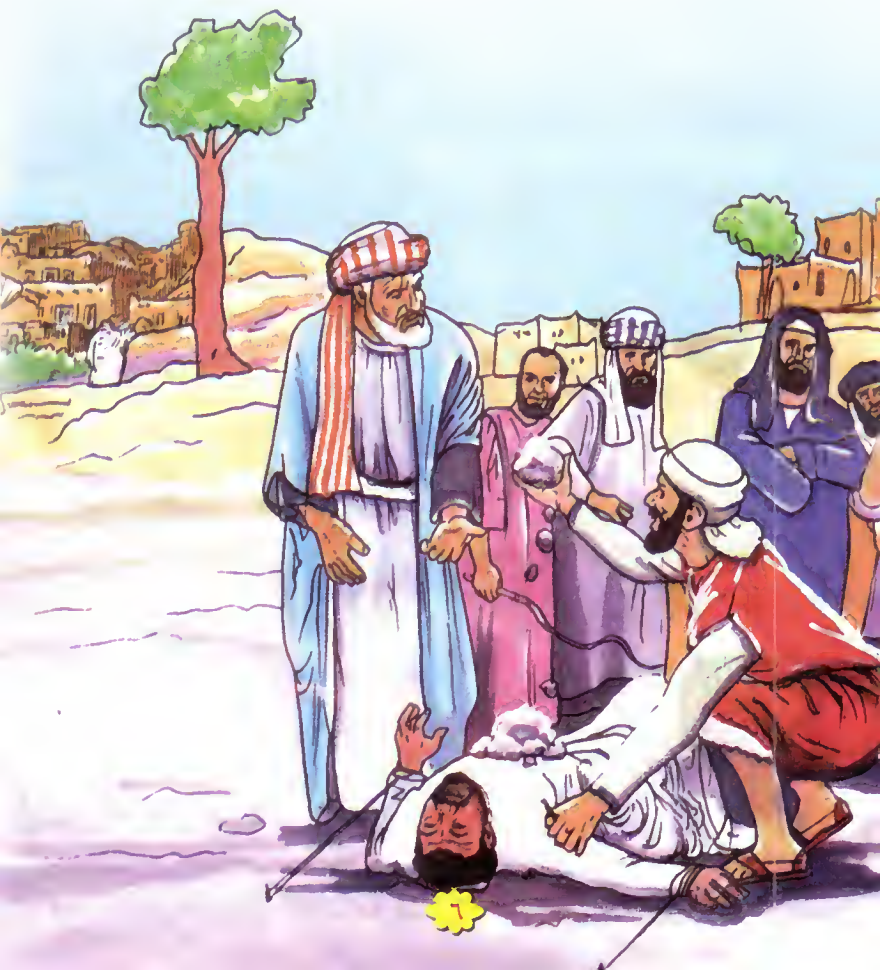


هَذَا الْأَمْرُ دَفَعَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى مُلَاحَقَةِ كُلِّ مَنْ يَرُونَ فِي سُلُوكِهِ  
وَتَصَرُّفَاتِهِ مِثْلًا إِلَى دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاضْطِهَادِهِ وَتَغْذِيهِ حَتَّى  
يَكْفُرَ وَيَعُودَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْعَقِيدَةِ الْجَاهِلِيَّةِ.

وَلَمَّا كَانَتْ فِتْنَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثَابِتَةً عَلَى الْهُدَى الَّذِي اصْطَفَاهَا  
اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ، لَجَأَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى التَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ، وَكَانَ  
أَكْثَرُ الْمُؤْمِنِينَ نَصِيْبًا مِنْهُ أَوْلِيكَ الَّذِينَ لَا عَشِيرَةَ لَهُمْ تَحْمِيهِمْ،  
وَلَا أَهْلَ قُرْبَهُمْ يَذُودُونَ عَنْهُمْ.

وَهَا هُوَ مَشْهُدٌ مِنْ مَشَاهِدِ التَّعْذِيبِ يَدُورُ قُرْبَ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ  
غَدَاةَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ الْحَارِقَةِ، إِذْ جَمَعَ الْمُشْرِكُونَ زُمْرَةً  
مِنْ أَوْلِيكَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ عِنْدَ الظَّهْيَةِ، فَأَلْبَسُوهُمْ  
دُرُوعًا مَصْنُوعَةً مِنَ الْحَدِيدِ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِمْ إِلَى الْقَلَاةِ يَطُوفُونَ  
بِهِمْ وَهُمْ خُفَاءٌ عَلَى الرِّمَالِ الْمُتَجَمِّرَةِ مِنَ الرَّمْضَاءِ، تَحْتَ أَشْعَةِ  
شَمْسِ الظَّهْيَةِ، لِيُرْغِمُوهُمْ عَلَى التَّبَرُّؤِ مِنْ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ.





وَقَدْ أَذِنَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَؤُلَاءِ بِأَنْ يَقُولُوا مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدْرَأَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِنْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنَّةً بِالْإِيمَانِ، وَبِذَلِكَ اسْتَطَاعُوا النِّجَاةَ وَالْخَلَاصَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ انْعَدَمَتْ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ.

إِلَّا أَنْ وَاحِدًا مِنْ أَوْلِيكَ الْمُعَذِّبِينَ وَهُوَ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ أَسْوَدُ اللَّوْنِ ظَلَّ يَسِيرُ وَالْجَلَّادُونَ يَتَّبِعُونَهُ بِسِيَاطِهِمْ، وَهُوَ يُرَدِّدُ بِصَوْتٍ وَاثِقٍ: "أَحَدٌ. أَحَدٌ!".

جُنَّ جُنُونُ الْكَافِرِينَ، وَرَاحُوا يُضَاعِفُونَ عَلَيْهِ الْعَذَابَ، وَظَلَّ الرَّجُلُ يُرَدِّدُ الْكَلِمَةَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَلْفِظَ أَنْفَاسَهُ وَتَزْهَقَ رَوْحُهُ، بَلْ إِنَّهُ أَضَافَ يَقُولُ: "أَنَا أَكْفَرُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَهَبْلٍ وَأَسَافَ وَنَائِلَةَ وَبَوَانَةَ!". وَتِلْكَ كَانَتْ أَسْمَاءٌ لِبَعْضِ أَصْنَامِ الْمُشْرِكِينَ الَّتِي كَانُوا يُقَدِّسُونَهَا.

وَقَدْ مَرَّ عَلَى الْقَوْمِ وَهُمْ يُعَذِّبُونَ بِلَالًا أَحَدَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَائِلِ، وَهُوَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وَسَمِعَهُ وَهُوَ يُرَدِّدُ مُتَحَدِّيًا الْمُشْرِكِينَ الظَّالِمِينَ بِقَوْلِهِ: "أَحَدٌ. أَحَدٌ". فَقَالَ وَرَقَةُ: "يَابَلَالُ، أَحَدٌ أَحَدٌ، وَاللَّهِ لَئِنْ مِتُّ عَلَى هَذَا لَا تَخْذَنْ قَبْرَكَ حَنَانًا". (يَعْنِي: أَتَبَرَّكَ بِهِ وَاتَّقَرَّبُ بِزِيَارَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى).





وَزَلَّ الْجَلَادُونَ يُعَذِّبُونَ الرَّجُلَ حَتَّى تَعْبُوا وَلَمْ يَتَفَوَّهْ بِشَيْءٍ  
مِمَّا أَرَادُوهُ أَنْ يَقُولَ!

كَانَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنُ الْمُعَذَّبُ فِي اللَّهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، بِلَالاً بْنَ  
رَبَاحٍ مُؤَذِّنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

الَّذِي عَاشَ فِي مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ فِي فِتْرَةٍ بَدَايَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ  
مُحَمَّدٍ ﷺ. حِينَ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَّقُونَ ظُلْمَ مُشْرِكِي  
قُرَيْشٍ وَبَطْشَهُمْ بِأَنْ يَعِيشُوا عِبَادَتَهُمْ سِرًّا.

وَفِي جَوْفِ اللَّيْلِ كَانُوا يَجِدُونَ أَفْضَلَ أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ،  
فَيَلْجَأُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّضَرُّعِ وَالِدُّعَاءِ، وَيَسْأَلُونَهُ الْهُدَى  
وَالنَّصْرَ وَالنَّجَاةَ.

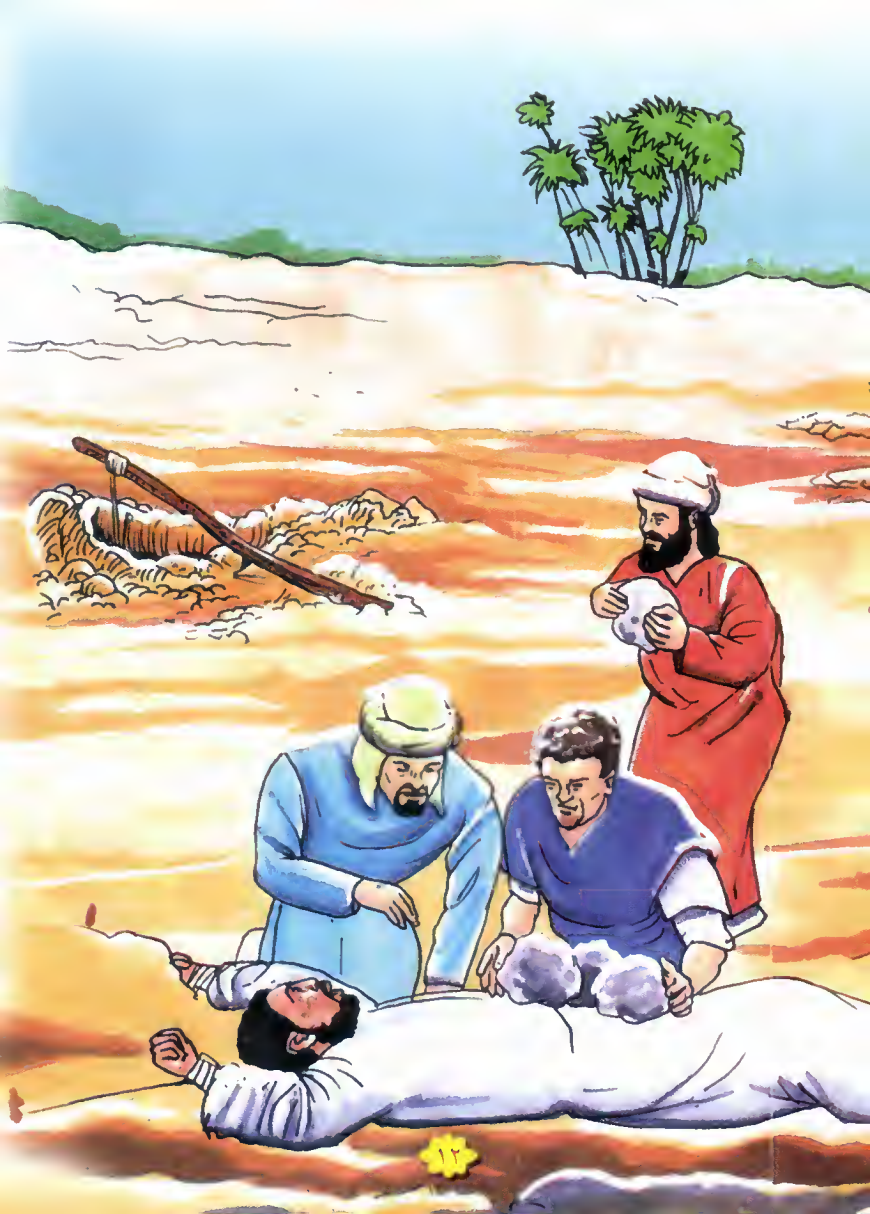
وَهَا هُوَ بِلَالٌ، ذَلِكَ الْعَبْدُ الْحَبَشِيُّ الْأَسْوَدُ الَّذِي كَانَ مُلَكًّا لِوَاحِدٍ  
مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ، يَخْرُجُ فِي لَيْلٍ  
دَاجٍ إِلَى الْكُعْبَةِ حَيْثُ نَصَبَ الْعَرَبُ أَصْنَامَهُمْ. فَالْتَفَتَ حَوْلَهُ  
يَسْتَطْلِعُ، وَلَمَّا لَمْ يَرَ أَحَدًا نَ الْبَشَرَ أَقْبَلَ عَلَى الْأَصْنَامِ يَنْصُقُ  
عَلَيْهَا صَنَمًا تَلَوْ الْآخِرَ، وَرَاحَ يَقُولُ: "خَابَ وَخَسِرَ مَنْ عَبْدُكُمْ".  
وَصَادَفَ أَنْ رَأَاهُ أَحَدُهُمْ، فَأَسْرَعَ يَحْتُ الْخَطَا نَحْوَ بُيُوتِ  
الْقَبِيلَةِ، وَيُخْبِرُ الْمُشْرِكِينَ بِمَا سَمِعَهُ وَرَأَاهُ!



وَأَسْرَعَ الرِّجَالُ يَجِدُونَ فِي الْمَسِيرِ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَلَمْ يَعْثُرُوا عَلَيْهِ، لَأَنَّهُ سَبَقَهُمْ إِلَى بَيْتِ سَيِّدِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ. وَتَرَكَضَ الْقَوْمُ يَسْعَوْنَ خَلْفَهُ وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَبُو جَهْلٍ وَأُمَيَّةُ بْنُ الصَّلْتِ يَطْرُقُونَ بَابَ السَّيِّدِ، وَحِينَ خَرَجَ عَلَى أَصْوَاتِ طَرْقِهِمْ وَصِيَا حِهِم، بَادَرَهُ أَحَدُهُمْ سَائِلًا إِيَّاهُ: "صَبَوْتُ؟". (يَعْنِي: هَلْ جُنِنْتُ؟).

فَقَالَ لَهُمْ: "وَمِثْلِي يُقَالُ لَهُ هَذَا؟ فَعَلَيْ نَحْرٍ مَائَةٍ نَاقَةٍ لِلَّاتِ وَالْعُزَّى إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ!".

فَأَخْبَرُوهُ بِمَا فَعَلَهُ عَبْدُهُ الْأَسْوَدُ وَكَانَ الْعَرَبُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ يَعْتَبِرُونَ سَوَادَ الْبَشَرَةِ نَقِيصَةً وَعَارًا يُرَافِقُ الْمَرْءَ مُنْذُ وَلَادَتِهِ حَتَّى وَفَاتِهِ فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ بِلَالٍ إِلَيْهِ، وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ قَائِلًا لِأَبِي جَهْلٍ وَلَأُمَيَّةَ بْنِ الصَّلْتِ: "شَانُكُمَا فَهُوَلُكُمَا، إِصْنَعَا بِهِ مَا أَحْبَبْتُمَا".



وَكَانَ ذَلِكَ جُلًّا مَا يَشَاؤُهُ الرَّجُلَانِ الْمُمْتَلِيَّ قُلُبَاهُمَا حَقْدًا  
وَقَسْوَةً.

فَخَرَجَا بِلَالٍ إِلَى الْبُطْحَاءِ، يَزِمَانِ بِهِ عَلَى رَمْلِهَا الْحَارِقِ  
عَارِي الظَّهْرِ، وَيَصِيحَانِ بِهِ مُهَدِّدَيْنِ مُتَوَعِّدَيْنِ: "أَكْفُرْ بِمُحَمَّدٍ".  
فَيَقُولُ لَهُمَا بِإِيمَانٍ: "لَا". ثُمَّ يُوحِّدُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ!

وَتَسْتَمِرُّ مَشَاهِدُ التَّعْذِيبِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَى مَدْرَسَةٍ تُعَلِّمُ  
الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَنْفًا مِنْ أَصْنَافِ الصَّبْرِ الَّذِي لَمْ  
يَعْرِفْ لَهُ الزَّمَانُ مِثْلًا.

وَصَارَ مَشْهَدُ بِلَالٍ مَأْلُوفًا، فَلَطَّالَمَا رَأَهُ النَّاسُ مَرْبُوطًا  
بِحَبْلِ طَوِيلٍ يَجْرُهُ صَبِيَانُ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ تَيَبَّسَتْ شَفَتَاهُ  
مِنَ الْعَطَشِ، وَالْكَفَّارُ يَقُولُونَ لَهُ: "قُلْ كَمَا نَقُولُ!". فَيَقُولُ  
لَهُمْ: "إِنَّ لِسَانِي لَا يَنْطِقُ بِهِ، وَلَا يُحْسِنُهُ".

ثُمَّ يَغْتَاطُ الْمُشْرِكُونَ أَكْثَرَ، فَيَخْتَرِعُونَ صَنْفًا آخَرَ مِنَ  
الْعَذَابِ، إِذْ يَضَعُونَ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا ثَقِيلًا، وَيَقُولُونَ  
لَهُ: "دَيْنُكَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى!". فَيَقُولُ لَهُمْ: "رَبِّي اللَّهُ!".  
ثُمَّ يَقُولُ: "أَحَدُ. أَحَدُ!".





وَحِينَ يَتَمَيَّزُونَ مِنَ الْغَيْظِ يَقُولُ لَهُمْ بِتَحَدٍّ وَثِقَةٍ: "لَوْ أَعْلَمْتُ كَلِمَةً  
هِيَ أَغْيَظُ لَكُمْ مِنْهَا لَقُلْتُهَا!!".

ذَلِكَ هُوَ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ صَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ الْفَدُ، بِشَجَاعَتِهِ  
وَإِيمَانِهِ وَقَوْلِ الْحَقِّ الَّذِي لَمْ تَأْخُذْهُ فِيهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ فِي حَيَاتِهِ.  
لَقَدْ أَنَارَ اللَّهُ قَلْبَ بِلَالٍ وَهَدَاهُ فِيمَنْ هَدَى مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ  
كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ فِي السَّبْقِ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَرْضَ لِنَفْسِهِ  
بِأَنْ يَكُونَ أَقْلَهُمْ جِهَادًا، بَلْ إِنَّهُ أَرَادَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْ  
حُمَاةِ الدِّينِ وَوَاضِعِي أُسُسِ دَوْلَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْأُولَى.

وَكَانَ مِنْ كَرَامَةِ بِلَالٍ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ خَصَّهُ بِبَعْضِ  
مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَخَلَدَ ذِكْرَهُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ، مَعَ فِتْنَةٍ  
مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَهُمْ خُبَابٌ وَعَابِسٌ وَعَمَارٌ وَغَيْرُهُمْ  
مِنْ أَوَائِلِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ جَاهَدُوا مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ،  
وَعُذِّبُوا عَلَى أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ.

مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ  
مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ  
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

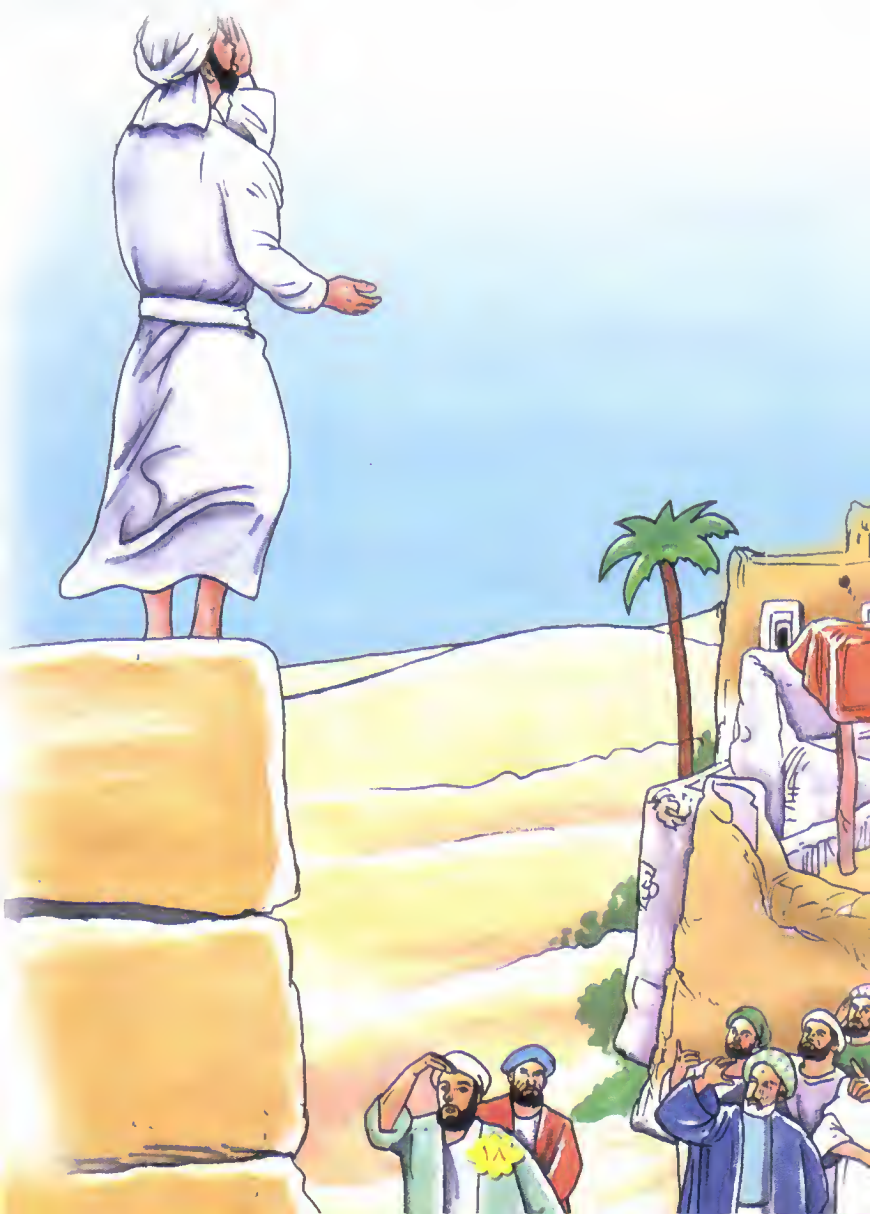


لَمْ يَكُنِ الْعَذَابُ الَّذِي قَاسَاهُ بِلَالٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَدَهُ  
الشَّاهِدَ عَلَى تَمْيِيزِهِ كَوَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، بَلْ إِنَّ كَرَامَةَ  
أُخْرَى لَا يُسْتَهَانُ بِهَا جَعَلَتْهُ مِنْ رِجَالِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ الْأَوَائِلِ  
إِنَّهُ أَذَانُ الْمُسْلِمِينَ، إِذْ شَاءَ لَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ صَوْتٍ  
يَصْدَحُ عَلَى مَا ذِنِ الْمُسْلِمِينَ بِعِبَارَةٍ: اللَّهُ أَكْبَرُ.

فَمَا قِصَّةُ هَذَا الْأَذَانِ؟

لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُسْلِمِينَ بِالصَّلَاةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ  
فِي كُلِّ يَوْمٍ. وَلِكُلِّ صَلَاةٍ وَقْتُهَا الَّذِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ  
يُؤَدِّيَهَا فِيهِ.

وَلَرُبَّمَا غَفَلَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ صَلَوَاتِهِمْ، أَوْ نَسُوا، أَوْ لَتَمَ يَنْتَبِهَتُوا  
إِلَى حُلُولِ الْوَقْتِ الْوَاجِبِ أَدَاؤها فِيهِ. فَكَانَ مِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى  
لَهُمْ أَنْ جَعَلَ لِلصَّلَاةِ نِدَاءً خَاصًّا يُنَبِّهُ الْمُسْلِمَ إِلَى حُلُولِ وَقْتِ  
صَلَاتِهِ وَيُذَكِّرُهُ بِهَا.



فَكَانَ الْأَذَانُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ جُبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَّمَهُ إِيَّاهُ. . .

فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِمَامَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو بِأَلَا الْحَبَشِيِّ، لِمَا عُرِفَ عَنْهُ مِنْ جَمَالِ الصَّوْتِ، وَحُسْنِ الْإِلْقَاءِ فَعَلَّمَهُ الْأَذَانَ، وَسُرْعَانَ مَا تَحَوَّلَ هَذَا النِّدَاءُ إِلَى شِعَارٍ لِلْمُسْلِمِينَ، يَهْزُ مَشَاعِرَهُمْ، وَيَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ بِالْفَخْرِ وَالْعِزَّةِ بِنُورِ الْإِسْلَامِ الَّذِي هَدَاهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَأَخْرَجَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. وَلَمَّا شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ فَاتِحاً مَعَ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ، كَانَ أَوَّلَ عَهْدٍ لَهُ فِيهَا أَنْ أَمَرَ بِأَلَا بِالْأَذَانِ فَوْقَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ وَقُرَيْشٌ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَمِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ سَتَرَ وَجْهَهُ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُقْتَلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ طَلَبَ الْأَمَانَ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِأَنْ هَدَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَمَّنَ. وَحِينَ وَصَلَ بِلَالٌ إِلَى قَوْلِهِ: "أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ". رَفَعَ صَوْتَهُ عَالِياً حَتَّى سَمِعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ، فَاعْتَاطَ الْكُفَّارُ أَشَدَّ الْغَيْظِ، أَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَاسْتَبَشَرُوا وَقَرَّتْ عُيُونُهُمْ بِأَنْ أَعَزَّ اللَّهُ دِينَهُمْ، وَارْتَفَعَ ذِكْرُ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.





فَهَلِ اقْتَصَرَتْ مَهْمَةُ بِلَالٍ فِي زَمَنِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى  
رَفْعِ الْأَذَانِ وَتَذْكِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِأَوْقَاتِ صَلَوَاتِهِمْ؟  
لَا، فَارْجُلُ كِبَالٍ يَتَحَمَّلُ مَا تَحْمَلُهُ مِنَ الْعَذَابِ فِي سَبِيلِ  
دِينِهِ لَا شَكَّ فِي أَنَّ لَدَيْهِ مِنَ الْيَقِينِ وَالثِّقَةِ مَا يُؤْهِلُهُ لِحَمْلِ  
أَشَقِّ الْمَسْئُولِيَّاتِ بِقُوَّةٍ وَأَمَانَةٍ.

فَلَمْ يَغْزُ النَّبِيُّ ﷺ غَزْوَةً دُونَ أَنْ يَكُونَ بِلَالٌ بَيْنَ الْمُقَاتِلِينَ  
يَطْلُبُ النَّصْرَ لِلْمُسْلِمِينَ وَالشَّهَادَةَ تُحِيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.  
وَقَدْ اسْتَطَاعَ بِلَالٌ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَسْتَرِدَّ حَقَّهُ مِنْ  
ظَالِمِيهِ فِي يَوْمٍ بَدْرٍ، حِينَ خَرَجَ الْمُشْرِكُونَ لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ،  
والتَّقَى وَجْهًا لَوَجْهِهِ بِمَنْ فَاقَ الْمُشْرِكِينَ تَعْذِيبًا لَهُ، يَوْمَ آمَنَ  
قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنَ النَّاسُ.

كَانَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُ هُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَمَعَهُ ابْنُهُ، فَانْقَضَ  
بِلَالٌ عَلَيْهِمَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ بِالسُّيُوفِ، وَكَانَ يَصِيحُ: "يَا  
أَنْصَارَ اللَّهِ! رَأْسُ الْكُفْرِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ! لَا نَجَوْتَ إِنْ نَجَا."



فَبِلَالٍ لَمْ يَنْتَقِمْ مِنْ أُمِّيَّةٍ لِمَا كَانَ يُنْزِلُهُ بِهِ مِنْ عَذَابٍ فِيمَا مَضَى  
بَلْ لَأَنَّهُ كَافِرٌ حَاقِدٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَفِي قَتْلِهِ قَطْعٌ  
لِرَأْسِ الْكُفْرِ الَّذِي يَتَرَبَّصُ شَرًّا بِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

إِنَّهُ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ الَّذِي بَشَّرَهُ **رَسُولُ اللَّهِ ﷺ** بِالْجَنَّةِ كَمَا لَمْ  
يُبَشِّرْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقَالَ فِيهِ مَا لَمْ يَقُلْ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ.

فَقَدْ أَشَارَ **النَّبِيُّ ﷺ** يَوْمًا إِلَى بِلَالٍ، وَقَالَ: "... وَيُبْعَثُ هَذَا يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ نَوَاقِ الْجَنَّةِ، يُنَادِي عَلَى ظَهْرِهَا بِالْأَذَانِ...  
فَإِذَا سَمِعَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَأُمَّمُهَا) أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ  
أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) نَظَرُوا كُلُّهُمْ إِلَى بِلَالٍ، فَقَالُوا: وَنَحْنُ  
نَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ...".

أَمَّا أَخْلَاقُ بِلَالٍ السَّامِيَّةُ، وَأَمَانَتُهُ الْفَذَّةُ فَقَدْ أَهْلَتْهُ لِنِالٍ عِنْدَ  
**النَّبِيِّ ﷺ** ثِقَةً عَظِيمَةً، تَجَلَّتْ فِي اعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ فِي تَبْلِيغِ أَوَامِرِهِ  
وِنِدَائِهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، كَمَا أَوْكَلَهُ بِمَهْمَةٍ أُخْرَى لَا يَقُومُ  
بِأَعْبَائِهَا إِلَّا أَصْحَابُ الْأَمَانَةِ الْعَالِيَةِ. وَهِيَ الْقِيَامُ بِدَوْرِ الْخَازِنِ  
وَالْمُسْتَوْدَعِ لِلرَّسُولِ **الْأَعْظَمِ ﷺ**، ثُمَّ الْقِيَامُ بِتَوَزِيعِ الْمَالِ  
وَسِوَاهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.



وَقَدْ تَحَدَّثَ (رَضَ) حَوْلَ هَذَا الْأَمْرِ إِلَى رَجُلٍ سَأَلَهُ: "يَا بِلَالُ! حَدَّثْنِي كَيْفَ كَانَتْ نَفَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟". فَقَالَ بِلَالُ: "مَا كَانَ لَهُ شَيْءٌ. كُنْتُ أَنَا الَّذِي إِلَيَّ لَهُ ذَلِكَ مُنْذُ بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى تُؤَفِّيَ، وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ فَرَأَاهُ عَارِيًّا يَأْمُرُنِي فَأَنْطَلِقُ، فَاسْتَقْرِضُ وَأَشْتَرِي الْبُرْدَةَ فَأَكْسُوهُ وَأُطْعِمُهُ".

وَلَمْ يَكُنْ بِلَالٌ مَعَ ذَلِكَ سِوَى الْفَقِيرِ الَّذِي لَا يَمْلِكُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا شَيْئًا، وَقَدْ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ ﷺ: "يَوْمًا: يَا بِلَالُ! مِتْ فَقِيرًا، وَلَا تَمُتْ غَنِيًّا".

وَزَلَّ بِلَالٌ يَعْمَلُ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى آخِرِ يَوْمٍ فِي حَيَاتِهِ. فَلَمْ يَأْخُذْهُ الْغُرُورُ إِلَى الْبَعِيدِ لِمَا لَهُ مِنْ مَكَانَةٍ عَزِيزَةٍ فِي نَفْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْ تَوَاضُعِ الْمُؤْمِنِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مُتَابَعَةٍ، مِنْهَا يَوْمَ أَتَتْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ يَذْكُرُونَ فَضْلَهُ، وَمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ، فَكَانَ جَوَابُهُ لَهُمْ: "إِنَّمَا أَنَا حَبَشِيٌّ، كُنْتُ بِالْأَمْسِ عَبْدًا!".







وَهَا هُوَ يَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ بَنِي لَيْثٍ، وَمَعَهُ أَخُوهُ،  
يَخْطُبَانِ مِنْ بَنَاتِهِمَا، فَيَقُولُ: "أَنَا بِلَالٌ، وَهَذَا أَخِي، كُنَّا ضَالِّينِ  
فَهَدَانَا اللَّهُ، وَكُنَّا عَبْدَيْنِ فَأَعْتَقَنَا اللَّهُ، وَكُنَّا فَقِيرَيْنِ فَأَغْنَانَا اللَّهُ،  
فَإِنْ تَزَوَّجُونَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ تَرُدُّونَا فَالْمُسْتَعَانُ لِلَّهِ!".

فَأَجَابَهُ الْقَوْمُ بِفَرَحٍ وَسَعَادَةٍ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ مَكَانَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ  
رَغَمَ مَا يَذْكُرُهُ: "نَعَمْ وَكَرَامَةً!". وَزَوَّجُوهُمَا.

وَبَعْدَ أَنْ قَضَى بِلَالٌ إِلَى جَوَارِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ شَطْرًا طَوِيلًا  
مِنْ عُمْرِهِ، عَرَفَ فِيهِ أَشْعَدَ الْأَوْقَاتِ وَأَهْنَأَهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَمْدُدُ  
قَلْبَهُ وَرَوْحَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِعِلْمٍ جَدِيدٍ يَضْمَنُ لَهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا،  
إِلَى أَنْ تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ، وَرَأَى بِلَالٌ الْمُسْلِمُونَ يَخْرُجُونَ عَنْ  
سَبِيلِهِ وَوَصَايَاهُ، وَيُغْمِضُونَ عُيُونَهُمْ، عَنْ آخِرِ مَوْعِدٍ لَهُمْ مَعَهُ فِي  
بَيْعَةِ يَوْمِ الْغَدِيرِ.

لَقَدْ اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِيهَا بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ  
خَلِيفَةً، وَبِذَلِكَ خَالَفُوا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَهَمِّ شَأْنٍ مِنْ  
شُؤُونِ دَوْلَةِ الْمُسْلِمِينَ!



أَمَامَ هَذَا الْوَاقِعِ تَحَرَّكَتْ فِئَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَوَقَفَتْ إِلَى جَانِبِ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي رَفْضِهِمْ مُبَايَعَةَ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ مِنْ بَيْنِ أَوْلِيكَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ مَا زَالَ يَذْكُرُ أَنَّ لِأَبِي بَكْرٍ فَضْلًا فِي تَخْرِيرِهِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ يَوْمَ اشْتَرَاهُ مِنْ مَوْلَاهُ، وَأَعْتَقَهُ. وَلَكِنْ هَذَا الْأَمْرُ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ أَنْ يَتَّخِذَ مَوْقِفًا عَادِلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ أَعْلَنَ عَنْ هَذَا الْمَوْقِفِ فِي أَوَّلِ مُنَاسَبَةٍ طَلَبَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ مِنْهُ أَنْ يَرْفَعَ الْأَذَانَ فِي عَهْدِ خِلَافَتِهِ، فَقَالَ لَهُ بِلَالٌ: "إِنِّي لَا أُؤْذِنُ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ".

لَمْ يَكُنْ رَفُضُ بِلَالٍ رَفْعَ الْأَذَانِ بِنَاءً عَلَى طَلَبِ أَبِي بَكْرٍ هُوَ الْمَوْقِفُ الْوَحِيدَ الَّذِي وَقَفَهُ تَأْيِيدًا لِأَلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَلْ إِنَّهُ رَفُضَ رَفُضًا قَاطِعًا أَنْ يُبَايِعَهُ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِتَلَابِيهِهِ، وَقَالَ لَهُ: "يَا بِلَالُ! إِنَّ هَذَا جَزَاءُ أَبِي بَكْرٍ مِنْكَ؟ إِنَّهُ أَعْتَقَكَ، فَلَا تَجِيءُ تُبَايِعُهُ!". فَأَجَابَ بِلَالٌ: "إِنْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْتَقَنِي لِلَّهِ، فَلْيَدْعُنِي لَهُ! وَإِنْ كَانَ أَعْتَقَنِي لِغَيْرِ ذَلِكَ فَهَا أَنَا! وَأَمَّا بَيْعَتُهُ فَمَا كُنْتُ أَبَايِعُ أَحَدًا لَمْ يَسْتَخْلِفْهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَ إِنْ بَيْعَةَ ابْنِ عَمِّهِ يَوْمَ الْغَدِيرِ فِي أَعْنَاقِنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَأَيُّنَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَايِعَ عَلَى مَوْلَاهُ؟!".



هَذَا الْمَوْقِفُ الْجَرِيءُ لِبِلَالِ ابْنِ رَبَاحٍ كَلَّفَهُ الْكَثِيرَ فِيمَا بَعْدُ، إِذْ إِنَّهُ  
أَغْضَبَ بِهِ عُمَرَ أَشَدَّ الْغَضَبِ، فَقَالَ لَهُ: "لَا أُمَّ لَكَ! لَا تُقِيمُ مَعَنَا!".  
وَلَكِنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْتَلَّ مَكَانَةً خَاصَّةً بَيْنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ،  
وَمَكَانَةً خَاصَّةً فِي قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْإِمَامِ عَلِيِّ ﷺ الَّذِي شَهِدَ بِهِ  
ذَاتَ مَرَّةٍ بِقَوْلِهِ ﷺ: "السُّبَّاقُ خَمْسَةٌ: فَأَنَا سَابِقُ الْعَرَبِ، وَسَلْمَانُ  
سَابِقُ الْفُرسِ، وَصُهَيْبُ سَابِقُ الرُّومِ، وَبِلَالُ سَابِقُ الْحَبَشِ، وَخَبَّابُ  
سَابِقُ النَّبَطِ".

كَمَا شَهِدَ بِهِ الْإِمَامُ الصَّادِقُ ﷺ بِقَوْلِهِ: "كَانَ بِلَالٌ عَبْدًا صَالِحًا".  
وَبَعْدَ أَنْ رَفَضَ مُبَايَعَةَ أَبِي بَكْرٍ وَإِضْرَارِهِ عَلَى مَوْقِفِهِ ذَلِكَ، انْتَقَلَ  
إِلَى الشَّامِ، حَيْثُ قَضَى مَا بَقِيَ مِنْ حَيَاتِهِ هُنَاكَ، إِلَى أَنْ فَاضَتْ  
رُوحُهُ الطَّاهِرَةُ بَعْدَ أَنْ أُصِيبَ بِدَاءِ الطَّاعُونِ، فَتُوُفِّيَ فِي دِمَشْقَ  
وَدُفِنَ فِي بَابِ الصَّغِيرِ وَعُمُرُهُ ثَلَاثَةٌ وَسِتُّونَ عَامًا. رَضِيَ اللَّهُ عَنْ  
بِلَالٍ مُؤَذِّنِ الرَّسُولِ ﷺ وَخَازِنِهِ الْأَمِينِ، وَالسَّابِقِ إِلَى الْإِسْلَامِ.



